



نَظَرَاتِي فِي كِتَابِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَحِيلَةِ

د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْزُوقِي



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة
للعالمين

بعث الله نبينا محمداً ﷺ بدين الإسلام لتطبيق شرع الله
الخالق على الأرض، ولتتميم مكارم الأخلاق، ولبسط العدل بين الأنام.
وكان مبعثه ﷺ في مكة، ولكنه لم يجد من كبرائها إلا
الجحود والصدود، بل المقاومة والمحاربة والتضييق على أتباعه
وتعذيبهم، مما دفعه إلى البحث عن أرض يتمكن فيها وأصحابه من
إقامة شرع الله بأمن وأمان وحرية، كما وعدهم بذلك، فكان يعرض
نفسه على القبائل التي تفد إلى مكة إلى أن هدى الله عز وجل جماعة
من أهل يثرب إلى لقائه، فأبدت استعدادها لاتباعه وإيوائه، وعاهدته
على ذلك فيما يعرف ببيعة العقبة.

وبعد بيعة العقبة هاجر إلى يثرب -التي سميت بعد ذلك بالمدينة-،
فاستقبله أهلها، وبايعوه، واتبعوا دينه، عدا القبائل اليهودية، وقليل من
أهلها من اتبعه ظاهراً ولكنه كان يخفي النفاق. ولكن ذلك لم يحل بينه
وبين تحقيق أمله في إقامة حكم الإسلام على هذه الأرض المباركة،
فأعلن عن قيام أول دولة للإسلام فيها واضعاً لها ميثاقاً وطنياً فيما
عرف بصحيفة المدينة النبوية.

وكان ميلاد دولة الإسلام الأولى على يد نبيها محمد ﷺ في ظل أوضاع دولية تتحكم في صياغتها وتشكيلها امبراطوريتان توسعيتان كبيرتان؛ هما: إمبراطورية فارس، وإمبراطورية الروم. ولم تكن أي منهما تتورع عن التوسع على حساب الأخرى وما يجاورها بل وما يبعد عنها، مما يمثل خطورة على تلك الدولة الوليدة ما لم تبادر إلى بناء قوتها، واستكمال مقومات وجودها والحفاظ على كيانها. كما لم تسلم هذه الدولة من عداء قومها من قريش وبعض القبائل المتحالفة معها، والتي كانت تترصد بها وتحاربها وتغزوها، بل ولم تسلم من أعداء الداخل من يهود خانوها ونكثوا بعهودهم معها وتآمروا عليها، كما عانت من منافقين يبطنون ما لا يظهرون، ويتربصون بها الدوائر، فلم يكن من هذه الدولة إلا السعي لتثبيت وجودها والحفاظ على كيانها ومد نفوذها في ساحة دولية مفتوحة للسباق على بسط النفوذ عليها.

فانطلقت جحافل الدعوة إلى تحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فجابت الأرض لتأخذ مكانها في أرض الله لتحكيم شرع الله، فاتسعت مساحتها في القرن الأول وما تلاه، ومرت دولة الإسلام خلال حقبةا المتتالية في مد وانحسار، وعلو وانكسار، ولكنها ظلت قائمة وراسخة في الساحة الدولية، ممثلة في دولة واحدة، إلى أن حلَّ القرن العشرون مؤذناً بالقضاء على الدولة الإسلامية الموحدة، لتصبح ساحة العالم الإسلامي مستباحة للدول المعادية له، لاقتسامه ونهبه،

منتهجة سياسة مقيته صارمة بالتفريق بين شعوب الأمة الإسلامية، وتقسيم أقاليمها، واصطناع حدود بينها، فارضاً نظاماً عالمياً جديداً يركز على مفهوم الدولة القطرية التي تقوم على أرض محددة بحدود جغرافية، لا تركز في غالبها - وبخاصة في العالم الإسلامي - على أي اعتبار منطقي، فلا تراعي اعتبارات الاشتراك في الدين، أو اللغة، أو العرق، أو أي اعتبار رابط بين الأفراد يقوم على عنصر مستقر، وإنما على رابط سياسي مرتبط بحدود جغرافية قد تكون وهمية، أو غير مستقرة، أو متنازعا عليها.

وبذا كانت فكرة (الدولة القطرية، أو الحديثة، أو الوطنية) فكرة غربية، اخترعتها القوى الاستعمارية، لاقتسام العالم، والاستيلاء على خيراته ومقدراته.

وهذا ما أثار في الفكر الإسلامي أزمة مفهوم الدولة القطرية أو العصرية، المفارقة للأمة بحدود مصطنعة بغير اختيارها، ولا دور لها فيه سوى الاستسلام والرضوخ الجبري. ففتح هذا المفهوم في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر ثلثة كبيرة حارت فيها أفكار، وتاهت فيها عقول، وتشعبت فيها آراء، ودخلت فيها أهواء، واستغلها أعداء الإسلام بدهاء.

ومما طُرح في ساحة الفكر الإسلامي من كتابات بهذا المفهوم كتاب بعنوان (الدولة المستحيلة) للدكتور وائل حلاق، الذي فرض بطرحه تجاذباً فكرياً إسلامياً أحاول تجليلته وإيجازه في هذا الكتاب

بالتمهيد أولاً بالتعريف بالمؤلف ومؤلفه، ومن ثم الدخول في موضوع الكتاب بنظرتين أولاهما عامة، والأخرى تفصيلية، وذلك في فصلين، سائلاً الله العون والتوفيق والتسديد.

فَهْرُسُ الْمَوْضُوعَاتِ

٥ مقدمة

٩ تمهيد: عن المؤلف والمؤلف

٩ أولاً: الكتاب موضوع النظر

١٠ ثانياً: المؤلف

١٥ الفصل الأول: النظرة العامة

١٥ أولاً: الاعتبارات التي تقوم عليها النظرة العامة

١٧ ثانياً: الاتجاه المعترض على فكرة الكتاب

٢٠ ثالثاً: الاتجاه المتصالح مع الكتاب

٢١ رابعاً: السمات العامة للكتاب

٣٣ الفصل الثاني: نظرات في محتوى الكتاب

٣٣ أولاً: عنوان الكتاب

٣٥ ثانياً: توقيت إصدار الكتاب

٣٧ ثالثاً: مقدمة الكتاب

٣٨ رابعاً: الفصل الأول

٤٠ خامساً: الفصل الثاني

٤٣	سادساً: الفصل الثالث
٤٦	سابعاً: الفصل الرابع
٤٩	ثامناً: الفصل الخامس
٥١	تاسعاً: الفصل السادس
٥٤	عاشراً: الفصل السابع
٥٧	الخاتمة

ISBN 978-603-04-9390-6



9 786030 493906 >